العرب
الجمعة 2020/12/11
السنة 43 العدد 11908

أفلمة المسرح ومسرحة السينما ظاهرة فنية لافتة

تحويل المسرح إلى السينما خطوة إلى الأمام.. أما إلى التلفزيون فحديث آخر

أعمال مسرحية كثيرة في التاريخ تحوّلت إلى أفلام سينمائية وحافظت على سحرها بل ازدادت تألقا بفضل ما يقدّمه الفن السابع من تقنيات وسهولة في الانتشار. ويشهد مهرجان أيام قرطاج السينمائية في دورته الـ31 المرتقبة مثل هذه التجارب على غرار فيلم "الهربة" الذي هو في الأصل مسرحية لصاحبها غازي الزغباني. لكنّ لتحويل المسرح والسينما إلى دراما تلفزيونية حديثا آخر.

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

ستكون للدورة الحادية والثلاثين لأيام قرطاج السينمائية التي تمتد في ما بين 18 و23 ديسمبر الجاري، نكهتها الخاصة هذا العام، إذ تنعقد في ظروف بالغة الخصوصية على الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية، خصوصا مع استمرار تفشي جائحة كورونا التي تسبّبت في إلغاء الجوائز الرسمية. لكنها دفعت إلى ما هو فائق الوفاء والإخلاص إلى الفن السابع وهو "الحنين"، إذ يُفتتح المهرجان الذي يستمر ستة أيام، بستة أفلام قصيرة من إنتاج المركز الوطني التونسي للسينما والصورة في العام 2020، كما أكّد مديره المخرج السينمائي رضا الباهي، وهي مستوحاة من أفلام تونسية طويلة تركت أثرها في المهرجان خلال دوراته من 1966 إلى 2019.

بشير الديك

إعادة تقديم الأعمال المسرحية أو السينمائية في مسلسلات تعدّ إفلاسا فكريا لدى كتاب الدراما

الخصوصيات كثيرة في هذه الدورة التي رفعت شعار "لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس"، وذلك انطلاقا من تخصيصها لجائزة الاختتام باسم فارس الثقافة التونسية، المناضل الراحل الشاذلي القليبي، إلى احتوائها لأفلام تعرض للمرة الأولى، ومنها ما يُنقل من خشبة المسرح إلى الشاشة السينمائية مثل "الهربة" للفنان المسرحي الشاب غازي الزغباني، على غرار تجربتين سابقتين للمسرحي فاضل الجعايبي في "عرب" و"جنون" في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي.

تجارب عالمية

ليس جديدا أن تتحوّل المسرحيات الشهيرة إلى أعمال سينمائية خالدة، وتحافظ على سحرها ورونقها بذات الدهشة والجاذبية، فمن منا لا يتذكّر روائع شكسبير التي تحوّلت إلى أيقونات سينمائية كـ"روميو وجولييت" وقبلها "ترويض النمرة" على يد فرانكو زفيرلّي عام 1967، وكذلك مسرحية الأميركي تينس وليامز "عربة اسمها الرغبة" التي استحالت إلى شريط سينمائي آسر على يد إيليا كازان.

أما مسرحية "الموت والعذراء" للكاتب التشيلي آرييل دورفمان، فأخرجها للسينما رومان بولانسكي عام 1994. وكتب دورفمان هذه المسرحية المدهشة عن أحداث التعذيب في معتقلات بينوشيه في التشيلي، بطلتها "باولينا" التي تعرّضت عندما كانت طالبة في كلية الطب للتعذيب اغتصابا قبل خمسة عشر عاما من زمن عرض المسرحية؛ باولينا، المتزوّجة من محام معروف ومطّلع على مسائل حقوق الإنسان وملفات التعذيب في العهد السابق، تسوق إليها الصدفة الطبيب الذي كان يشرف على وقائع اغتصابها على وقع رباعية شوبرت الوترية والتي تحمل اسم "الموت والعذراء"، يتصاعد الخط الدرامي بسبب هذه الصدفة حيث تحتجز باولينا مغتصبها السابق أمام أعين زوجها، وتنتزع منه الاعتراف بما اقترفه في حقها.

وبالعودة إلى فيلم "الهربة" المنقول عن مسرحية الزغباني، فإن ما أعدّه وكتبه هذا الفنان الشغوف، صاحب فضاء "الأرتيستو" المولع بالبحث والتجريب، يعتبر حكاية متفرعة عن أكثر من حكاية، تتحدّث عن شاب متشدّد دينيّا يهرب من الشرطة وسط أزقّة الأسواق العتيقة لتونس العاصمة فيجد نفسه مجبرا على الاختباء في غرفة مومس بماخور المدينة. تزداد الوضعيّة تعقيدا و طرافة بدخول زبون إلى الغرفة ما يضطرّه إلى الاختباء تحت السرير غير قادر إلا على الانتظار.

هذا المفصل الاختياري، وشديد الدقة والذكاء من قبل المخرج، مكّن المتلقي من التنبّه إلى أكثر المواقف دقة وحساسية من قبل شخصيتي المومس والمتشدّد، وجعل الجمهور يعيش وضعية المتلصّص في حالة شديدة الغرابة وكثيرة الالتصاق بالفضاء الذي تدور فيه الأحداث.

التعاطي مع الشخصيتين كان في غاية الحرفية والذكاء، والابتعاد عن الكليشيهات الجاهزة والمتكرّرة، ما أكسبه أداء بعيدا عن النمطية والتسطيح، وجعله يرتقي إلى تفاصيل النفس البشرية وانفعالاتها البعيدة عن المتوقع والمنتظر والمكرّر.

أدّى غازي الزغباني ونادية بوستة ومحمد حسين قريع، شخصيات المسرحية بمنتهى الإدهاش الممزوج بالواقعية والبعد عن المبالغات أو تقصّد الإثارة والإضحاك فكان عملا يستحق أن تخلده السينما، على عكس المسرح الذي صُنع كي يموت عند نهاية كل عرض.

هذه الحكاية المبنية على ثنائية المقدس والمدنس، من خلال شخصيتين تبدوان في الظاهر شديدتي التناقض، لكنهما في الداخل تقتربان من بعضهما إلى حدّ التماهي، تصلح لأن تكون موضوع سينما بامتياز، ذلك أن الأخيرة مبنية ومؤسسة على جملة أسئلة وجودية كبرى عبر التفاصيل.. وما أدراك ما التفاصيل.

هذا العمل المسرحي الناجح، والذي حقّق المعادلة الصعبة بين فرجة جماهيرية وأخرى نخبوية، يستحق أن يتحوّل إلى فيلم سينمائي دون الخوف عليه من مخاطر المجازفة في الانتقال من الفن الرابع إلى السابع في سلاسة وحسن استقبال من كلا الجمهورين، ذلك أن الجمهور يكاد يكون واحدا، ثم إن المسرح في هذه الحالة لن يقدّم تنازلات كما دأب أن يقدّمها للتلفزيون بل سيفتح لنفسه دروبا وعرة تصل إليها كاميرا التصوير قبل عيني المتفرّج.

وكما قال مدير دورة مهرجان قرطاج السينمائي، المخرج رضا الباهي، صاحب "عتبات ممنوعة" و"صندوق عجب"، إن "السينما خلاّقة حيوات وحافظة ذكريات وولاّدة أمل، لذلك فلا يأس مع السينما ولا معنى لها مع اليأس"، هي السينما التي قاومت النسيان وقاومت الظلم وقاومت التهميش وها هي اليوم تقاوم الوباء وتبثّ التفاؤل في ثنايا بلد أنهكه السياسيون بشطحاتهم.

ومسرحية "الهربة" التي نالت جائزة نقابة الصحافيين لحرية الرأي في الدورة الماضية لأيام قرطاج المسرحية، تطمح اليوم – وهي شريط سينمائي – إلى نيل جائزة، افتراضية على الأقل، في أيام قرطاج السينمائية، بعد أن قالت عنها اللجنة التي منحتها الجائزة بأنها مسرحية جريئة "كشفت التشوّهات داخلنا وحاولت تعرية كلّ الأقنعة التي نخفيها ودافعت عن حرية الاختلاف وحرية التعبير، كما دافعت عن هويّة الجسد ودعت إلى الحوار مع الآخر المختلف عنّا". مختتمة بقولها "الحوار وحده يقدر على تفتيت كلّ المطبّات والعوائق، والحوار نداء إنساني بامتياز، كما يقول العمل".

معضلة التمطيط

تحويل أعمال مسرحية ناجحة إلى أفلام سينمائية رغم ما تحمله من مغامرة على مستوى تقنية الكتابة والتقطيع المشهدي وكذلك الأداء التمثيلي والإخراج، يعدّ أمرا "محمودا" بما أنه يراوح بين جنينين فنيين مختلفين، غير أنهما يتنافسان في الجودة وسحر الأداء. لكن تحويل مسرحية أو فيلم سينمائي إلى مسلسل تلفزيوني يعدّ في نظر بعض النقاد نوعا من الفقر والإفلاس رغم قبول بعضهم بالأمر سعيا وراء الشهرة وكثرة الانتشار كما فعلت الكاتبة المصرية الراحلة فتحية العسال، التي حوّلت مسرحيتها "سجن النساء" إلى مسلسل تلفزيوني من بطولة نيللي كريم ودرة وروبي وآخرين.

ويرى البعض أن إعادة تقديم الأعمال المسرحية أو السينمائية في مسلسلات تعتبر إفلاسا فكريا لدى كتاب الدراما واستغلالا لنجاح تلك الأعمال من قبل المنتجين، مؤكّدين أن هذه التجربة نجحت في عدد قليل من الأعمال.

وفي هذا الصدد، يقول الكاتب المصري بشير الديك "إن هذا الاتجاه يعتبر إفلاسا فكريا واستغلالا لنجاح عمل ونقصا في الموضوعات، رغم أن مصر بها العديد من الموضوعات والقضايا التي تصلح كمواد درامية ومعظم هذه الأعمال يتنبأ لها بالفشل، وهذا الاقتباس من القديم يؤكّد عدم رؤية الواقع المعاصر، وقد تكون هذه الأعمال عرضة للمط والتطويل للشخصيات والأحداث".

وبدوره يؤكّد المخرج المصري مجدي أحمد علي، أن هذا الاتجاه يعبّر عن إفلاس و"يعني أننا لا نجد موضوعات لنقدّمها، لذلك نبحث في الدفاتر القديمة عن الأعمال التي سبق وأن نجحت لنستغلها وهذا يعبّر عن استهلاكية بشعة، حيث نقبل بأي مادة قديمة لتقديمها".

وأغلب الظن أن معظم الأعمال المسرحية الشهيرة تتجه نحو الإنجاز السينمائي لاعتبارات تقنية وموضوعية وإنتاجية، كما أن الفارق لم يعد شاسعا من الناحية الموضوعية بين السينما والتلفزيون.. فهل أصبحنا نذير ظهورنا – وبخجل شديد – نحو المسرح؟

«الهربة» التونسية.. سلاسة العبور من الفن الرابع إلى السابع

«سجن النساء» انتقال متعثّر من الخشبة إلى الشاشة الصغيرة

ترشيح «مفاتيح مكسورة» للمنافسة على الأوسكار يخفّف أوجاع اللبنانيين

اختير فيلم "مفاتيح مكسورة"، للمخرج جيمي كيروز، لتمثيل لبنان في التصفيات الأولى لجائزة الأوسكار في فئة أفضل فيلم غير ناطق بالإنجليزية، التي تُنظّمها أكاديمية فنون السينما وعلومها بهوليوود في أبريل القادم عوض شهر فبراير المعتاد، نتيجة تفشي وباء كورونا المستجد.

بيروت – وقع اختيار وزارة الثقافة اللبنانية، بشكل نهائي، على فيلم "مفاتيح مكسورة" للمخرج جيمي كيروز، لينافس على مسابقة الأوسكار لعام 2021 عن فئة الفيلم الأجنبي، وذلك إثر منافسة بينه وبين فيلم "جدار الصوت" للمخرج أحمد غصين.

واستعرضت اللجنة الفنية المؤلفة من خبراء ومخرجين ونقاد سينمائيين والمدير العام للثقافة، الأفلام التي قدّمت ترشيحها بحسب الأصول إلى المديرية العامة للثقافة واستوفت الشروط الفنية، واجتمعت بُعيد انتهائها لاختيار الفيلم الرسمي. وبعد المداولات تبين أن فيلم "مفاتيح مكسورة" حاز على النسبة الأعلى من الأصوات، ليمثل لبنان رسميا في الأوسكار.

وعن اختيار الفيلم، قال رئيس لجنة اختيار الفيلم والمدير العام للثقافة علي الصمد "رغم الظروف الاستثنائية التي مرّت بها لبنان في العام الجاري، استمرّ العمل السينمائي بأهم المواصفات العالمية التي تؤكّد مجددا موقع لبنان على الساحة الدولية ودوره في هذا المجال، وأتت المنافسة هذا العام مشرّفة وصعبة لاختيار الفيلم الذي سيمثّل لبنان في الأوسكار".

وأضاف "الفيلم واعد من حيث الرؤية الإخراجية والقصة والسيناريو"، مؤكّدا أنّ "وزارة الثقافة اللبنانية وعلى الرغم من أنّه لم يكن هناك دعم في العام الحالي، إلّا أنّ العمل جار لتوفير اعتمادات قصد دعم القطاع السّينمائي في الأعوام القادمة".

والفيلم المتمسّك بالأمل أمام بشاعة الحرب، تنطلق حكايته حين تنكسر مفاتيح البيانو الخاص بـ"كريم" عازف الموسيقى، فيعجز عن إصلاحها بسبب تحريم تنظيم داعش الغناء والموسيقى. ليصبح عالقا بين حبه للموسيقى، وعدم قدرته على التعبير عنها، وهو الذي لم يتمكّن من مغادرة المنطقة المنكوبة التي يعيش فيها.

يقول بطل العمل طارق يعقوب "الفيلم يتحدّث عن شخص يتعلّق ببصيص من الأمل ليبقى إيجابيا، وهذه حالنا جميعا الآن وهنا"، وأضاف عن رمزية هذا الترشيح "أعتبر وجود عمل فنّي لبناني ضمن خارطة أهم الأفلام العالمية يشكّل مواساة في عزّ ما يمرّ به لبنان من محن".

وتابع "هناك ما يجلب الاطمئنان، فليس كل لبنان يتمثل بسياسييه ومحاصصيه الذين آلوا به إلى الهاوية، بل إن الكثير من المفكرين والفنانين يسعون دوما إلى تنقية صورته".

وصُوّرت بعض أحداث الفيلم في الموصل بالعراق من أجل نقل صورة الدمار والواقع كما يفترض أن يكون، موثّقا مقاومة بعض الموسيقيين لقرار تحريم الفن في مشهدية سامية.

وأدّى دور البطولة في "مفاتيح مكسورة" إلى جانب طارق يعقوب كل من بديع أبوشقرا، رولا بقسماتي، منير معاصري، إبراهيم الكردي، جوليان فرحات، سارة أبي كنعان، عادل كرم، سعيد سرحان، غبريال يمّين، فادي أبي سمرا، حسّان مراد، ليلى قمري، ميشال أضباشي ورودريغ سليمان.

ويصف الممثل بديع أبوشقرا اختيار الفيلم لتمثيل لبنان في الأوسكار بـ"الانتصار للسينما اللبنانية"، وتابع "السينما اللبنانية لديها نكهة خاصة، باتت تُؤخذ في الاعتبار بالمهرجانات العالمية، وأصبح للبنان اسم بعد الأفلام التي برزت في مهرجان كان السينمائي والأوسكار ومهرجان دبي السينمائي، إضافة إلى الأفلام القصيرة التي تقدّم إنتاجات مهمة في المهرجانات العالمية".

ويجسّد أبوشقرا في الفيلم دور مالك متجر لبيع أدوات الموسيقى تدمّر في الحرب، وهو يضيء من خلال الدور الذي قدّمه على فظائع الحرب والأطفال المشرّدين، وصولا إلى إبراز الشغف بالموسيقى رغم سوداوية المشهد الإنساني.

وشارك في الفيلم الفنان اللبناني العالمي غبريال يارد في الموسيقى التصويرية، وهو حائز على جوائز عالمية بينها الأوسكار، والغولدن غلوب، وبافتا، وغرامي، وقد بدت بصمته واضحة على الموسيقى التصويرية للعمل الذي احتفى بالموسيقى والموسيقيين.

وعرف الفيلم العديد من المصاعب أثناء التصوير وغداته، من ضمنها إصرار طاقمه توقيف التصوير لخمسة عشر يوما بعد عودتهم من العراق، حيث صوّر العمل في آخر منطقة هُزم فيها تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، ثمّ شهدت لبنان في أواخر العام 2019 العديد من الحرائق التي تسبّبت في تدمير عدد من الإكسسوارات، ليتوقّف التصوير ثانية مع اندلاع الثورة اللبنانية التي شارك فيها عدد من الفنيين والممثلين العاملين في الفيلم.

ومع الانتهاء من تصوير العمل فرضت جائحة كورونا على اللبنانيين البقاء في منازلهم وعدم مغادرة البلد بعد توقّف الرحلات من وإلى بيروت، فاضطرّ المخرج إلى التواصل مع الملحن عبر الإنترنت لإتمام وضع الموسيقى التصويرية للفيلم، ومع ذلك تمّ اختيار العمل للمشاركة في مهرجان كان السينمائي أولا، ثم ترشيحه لتمثيل لبنان في القائمة الأولية لجائزة الأوسكار في فئة أفضل فيلم أجنبي، الأمر الذي عدّه طاقم العمل "بادرة انتصار للسينما اللبنانية".

بديع أبوشقرا

اختيار الفيلم للمنافسة على الأوسكار يعدّ انتصارا للسينما اللبنانية

و"مفاتيح مكسورة" هو ثالث الأفلام اللبنانية التي تم ترشيحها لتمثيل لبنان في الأوسكار، حيث كان "قضية رقم 23" للمخرج زياد دويري أوّل فيلم يتأهل للمنافسة النهائية على الجائزة العالمية كأفضل فيلم أجنبي وذلك في العام 2017، تلاه فيلم المخرجة نادين لبكي "كفر ناحوم" الذي لم يسلك طريقه نحو ترشيحات الأوسكار فحسب، بل وقع ترشيحه أيضا لجائزة أفضل فيلم أجنبي في حفل "غولدن غلوب". ومع ذلك لم يفوزا بالجائزة، فهل يحقّق فيلم "مفاتيح مكسورة" لكيروز ما عجز عنه مواطناه؟

استمرار الحياة رغم الخراب